

أحاديث رمضان ١٤٢٥ هـ - ومضات ولقطات إيمانية - الدرس (٠١-٦٤) : الإيمان بالغيب
فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٠-١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

قف عند كلمة الغيب :

أيها الأخوة، في أول سورة البقرة يقول الله عز وجل:

(الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)

[سورة البقرة الآية: ١-٣]

نقف عند كلمة واحدة في هذه الآية، وهي كلمة الغيب.

أيها الأخوة الكرام، نحن نعيش واقعاً محسوساً، هذا الواقع فيه بيوت، فيه مركبات، فيه نساء، فيه طعام، فيه دخول كبيرة، فيه دخول قليلة، الإنسان يعيش واقعاً، أما الآخرة فخير، تقرأ القرآن، يقول الله لك:

(وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)

[سورة الضحى الآية: ٤]

لكن الآخرة غير محسوسة، مثال ذلك:

الإنسان يعيش في بيت مع زوجته، وهما في تفاهم، يسعد بها، وتسعد به، وله صديق بين زوجته وبينه خصام، وهي عند أهلها، والبيت في فوضى، والأولاد ليس هناك من يطعمهم، وليس ثمة من يعتني بهم، وحياته متعبة جداً، الأول يعيش واقع السعادة الزوجية، أما مشكلة صديقه فهي فكرة عنده، لكن الثاني يعيش الشقاء الزوجي، أما سعادة صديقه فهي فكرة .

من هو المؤمن؟ :

الآن أيها الأخوة الكرام: نحن جميعاً نعيش الدنيا، نعيش الواقع، فيهمنا الدخل، والرزق، والصحة، والأولاد، والزوجة، لكن قضية الآخرة ليست واقعاً محسوساً، بل هي فكرة، من الذي أخبرك أن هناك آخرة؟ لو أن الذي أخبرك هذا الخبر إنسان عادي لا نأبه له



الآخرة فكرة غير ملموسة

إطلاقاً، أما إذا كان الذي أخبرك خالق الأكوان، خالق الإنسان، قال: ينبغي أن تأخذ إخبار الله كأنك تراه، والدليل: قال تعالى:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)

[سورة الفيل الآية: ١]

من منكم رأى أصحاب الفيل؟ ولا أنا رأيت، لكن قال علماء التفسير: ينبغي أن تأخذ خبر الله وكأنك تراه.

هذا إخبار من خالق الكون، قال تعالى:

(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَمَا تَسْتَعْجِلُوهُ)

[سورة النحل الآية: ١]

إذاً: لم يأت، لكن الله سبحانه وتعالى ما دام قد أخبرنا أنه سيأتي فكأنه أتى، من هو المؤمن؟ هو الذي يؤمن بالغيب.

هذا البطل :



بين طريق سهل ينتهي بحفرة وطريق وعر ينتهي بقصر

أنت راكب دراجة، الطريق مستو، وجدت طريقين، طريقاً نازلاً، وطريقاً صاعداً، كل خلية بجسمك، وكل قطرة بدمك، تدعوك إلى سلوك الطريق النازل، لأنك راكب دراجة معطيات، الطريق سليمة، الطريق معبد، تحفه الأشجار، والرياحين، والورود، ونسمات لطيفة وعليلة، هذا الواقع، الواقع يدعوك أن تسلك الطريق النازل،

لكن لوحة صغيرة كتب عليها: أن هذا الطريق النازلة تنتهي بحفرة ما لها من قرار، فيها وحوش كاسرة وجائعة، هذا النص يجب أن يعكس قرارك الطريق الصاعدة، مع أنها وعرة، وفيها غبار، وفي حر، لكنها تنتهي بقصر، هو لمن وصل إليه .

أنا أعطيك مثلاً حاداً: الواقع المحسوس يدعوك أن تسلك الطريق الهابط، لكن النص الذي عند مفترق الطرق يدعوك أن تسلك الطريق الآخر، المتعب، الصاعدة، التي فيها أكمام ، فيها عقبات، فمن هو البطل؟ ولا سيما إذا كان المخبر هو الله، البطل الذي يقرأ هذا القرآن، ويصدق ما فيه، ويعمل بمقتضاه، ولا يؤخذ بمظاهر الحياة الدنيا .

هذا حال الناس :

لا أبالغ، معظم الناس يعيشون الواقع فقط، يريد أن يأكل، وأن يشرب، وأن يستمتع بالحياة، ولا يعبأ كثيراً ما إذا كان دخله حراماً أو حلالاً، لا يعبأ كثيراً أن الله سيسأله عن كل درهم كسبه، من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ يعيش الواقع، يأكل، يشرب، يستمتع، ينتزه، يملأ عينيه من محاسن النساء، يتابع الفضائيات حتى ساعة متأخرة من الليل، يقول: هذه الحياة، هو يعيش واقع ممتع، أما الآخرة التي سيحاسب فيها عن كل شيء فهي فكرة، وليست واقعاً، لذلك عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:

((لِيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةً، يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَفْضُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، والإمام أحمد في مسنده]

قصة لها مدلولها :

العبد الفقير، سافرت إلى بلد بعيد، البلد البعيد في نصف الكرة الجنوبي، فأنا هنا أشعر بالحر، الحرارة ثلاثة وأربعون، أنا أعيش واقع الحر، فتحت، سألت، فوجدت أن الوقت هناك شتاء، والحرارة هناك سبع أو ثماني درجات، بقيت فكرة، هذه لم تكن واقعاً، لم آخذ من الثياب شيئاً إلا ما هو صيفي، أعيش واقع الحر، ولم أنتبه إلى الفكرة التي قرأتها في موقع معلوماتي عن تلك البلاد، فلما وصلت عشت واقع البرد، تمنيت لو معي ثياب شتوية، درس لا أنساه .

ما هو سبب سلامة الإنسان وسعادته؟ :

كلمة: يؤمنون بالغيب، من هو البطل؟
الذي يصدق الله بهذا القرآن.
أيها الأخوة الكرام، إن لم تعكس
موازينك وخطتك لم تؤمن بالغيب،
الواقع يدعوك أن تأخذ المال، والقرآن
يدعوك أن تنفق المال، الواقع يدعوك أن
تستمتع بالحياة، والقرآن يدعوك أن
تتضبط وفق منهج الله، الواقع يدعوك
أن تنام، والواقع يدعوك أن تستيقظ:



البطل من يصدق بهذا القرآن

(يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِنَّا قَلِيلًا)

[سورة المزمل الآية: ١-٢]

الآن نحن في أول ليلة من ليالي رمضان، البطولة أن تؤمن بالغيب، أما الإيمان بالواقع فسهل جداً تعيشه أنت، أيّ إنسان يقول: أنا واقعي، البطولة: أن تؤمن بهذه اللوحة التي تؤكد لك، أن هذا الطريق الذي يريحك، ويسليك، ويمتلك: ينتهي بحفرة مالها من قرار، وأن هذا الطريق الصاعدة المتعبة الذي لا تحبه فيها غبار، وعقبات وأكمام، هذا الطريق الذي سوف يسعدك، من هو البطل؟ الذي يؤمن بالغيب.

مشكلات الناس في معظمها يعيشون الواقع لا يهتمون بغذائهم، الأغذية الطيبة الرائعة تسبب أمراضاً كثيرة جداً، ترى إنساناً يؤمن بما يقوله الأطباء، يأكل الأكل الصحي، ولا تأخذه الشهوة إلى أكل يؤذيه، إذاً: الإيمان بالغيب هو سبب سلامتنا وسعادتنا.

نحن أمام القرآن الكريم، إن شاء الله البطولة في رمضان أن تصدق الواحد الديان، أن تصدق رب العالمين، أن تعمل بهذا الخبر.

قف عند هاتين الكلمتين :



وكنت أضرب مثلاً دائماً أعدته كثيراً: إنسان متجه إلى حمص في أيام الشتاء، ودمشق فيها شمس، والطرق جافة كلها، إذا بلوحة كتب عليها: الطريق إلى حمص مغلقة بسبب تراكم الثلوج، وضعت اللوحة في النبك، في ظاهر دمشق ماذا تفعل؟ تعود، ما الذي أعادك إلى بلدك؟ النص، اللوحة، لو أن دابة تمشي أين تقف؟ عند الثلج، ما الذي

حكمها؟ الواقع، القضية بكلمتين: إن كنت عاقلاً يحكمك النص، وإن عطلت عقلك يحكمك الواقع. الناس يعيشون، يأكلون، يشربون، يتمتعون، ولا يلتفتون إلى ذلك اليوم الذي تحاسب فيه عن كل كلمة، وعن كل حركة، وعن كل سكنة، وعن كل صلاة، وعن كل قطيعة، وعن كل قطيعة، وعن كل غضب، وعن كل رضا، لماذا فعلت؟

عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ: فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟))

ما معنى أتى في هذه الآية: (أتى أمر الله...): ؟ :

فأنا وقفت عند كلمة واحدة؛ كلمة الغيب، إن كنت مؤمناً برب السموات والأرض تأخذ كلام الله لا على أنه غيب، لكن على أنه مشهود، يجب أن تتلقى إخبار الله وكأنك تراه، يجب أن ينقلب الغيب عندك إلى واقع، قال تعالى:

(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)

[سورة النحل الآية: ١]

أتى: فعل ماض، قال:

(فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)

[سورة النحل الآية: ١]

المعنى أنه لم يأت، معنى ذلك: أنه كونك مؤمناً، وقد أخبرك الله عز وجل أن هذا اليوم سوف يأتي، توقن أنه قد أتى.

موضوع اليوم :

فهذا موضوع اليوم، كلمة:

(يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)

[سورة البقرة الآية: ٣]

لكن لو فرضنا أن الآخرة محسوسة كالدنيا، جميع الناس يتجهون إلى الآخرة، ولا يسعدون بها، لأنهم ما فعلوا شيئاً، أما أنت فتقاوم متع الأرض، متع الدنيا التي حرمها الله عز وجل، وتلتزم بما سمح الله لك به، اعتماداً على إخبار الله لك، أن هناك يوماً تسعد فيه إلى أبد الأبد، فيقدر إيمانك بذلك اليوم، تكون ممن تنطبق عليهم هذه الآية:

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)

[سورة البقرة الآية: ٣]

والحمد لله رب العالمين